

حَسَانُ بنِ ثَابِتٍ - نَشَأَتُهُ وَنَمَاذِجٌ مِنْ شِعْرِهِ

معمّر أحمد علي عوض السيد و فضل الله النور و محمد علي أحمد

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية اللغات

المستخلص:

تناولت هذه الورقة حياة الشاعر حسان بن ثابت الشعرية والثقافية وقد سعت إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، منها: التعرف على شخصية الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري، في الجاهلية والإسلام ووقفاته الشعرية منافحاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدافعاً عن الدين الحنيف، والوقوف على نماذج من شعره، في المدح، والفخر، والهجاء، والرثاء، وبض الآراء في شعره، وقد اتبع فيه الباحث المنهج التحليلي الوصفي، وقد خرجت الورقة بمجموعة من النتائج منها: أن حسان بن ثابت أفضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، شعره أشد وقعاً على قريش في الجاهلية، ولن شعره في الإسلام يضاهي شعره في الجاهلية أو يزيد عليه. الكلمات المفتاحية: المدح، القيم، نماذج الفخر، القصائد والشعر.

ABSTRACT

This Paper tackled poetic and cultural life of Hassan ibnThabit. Al-Ansari It attempted to achieve a number of aims such as making aware of the poet's character in pre-Islamic era and in Islam in addition to identify his stances using poetry standing up for the prophet Muhammad (peace be upon him) and defending the true religion of Islam as well as having insight into patterns of his poetry with respect to pride, satire, elegy and some statements about his poetry. The researcher has employed descriptive-analytical method. A number of results were reached by the researcher; the most important one is that Hassan ibnThabit is the poet in terms of that he is of the most prominent poets; his poetry was of high influence in Quraysh tribe during pre-Islamic era and that his poetry is in Islam emulates his version of poetry in pre-Islamic era or more.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم، فالشعر من أشرف العلوم مكانة عند العرب، وأرفع شأنًا ومكانة، وهو لسان القبيلة وفخرها، في الجاهلية والإسلام، وبحوره كثيرة، وفنونه متنوعة، وتأتي فيه القصائد حسب المناسبات، فاكتفى الباحث بتناول حياة حسان بن ثابت الشعرية من خلال محورين:

المحور الأول: نشأة حسان بن ثابت

المحور الثاني: حياته الشعرية ونماذج من شعره

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف منها:

التعرف على شخصية حسان بن ثابت.

الوقوف على شعر حسان وآثاره في الجاهلية والإسلام.

التعرف على الصور الفنية في شعر حسان

الوقوف على نماذج من قصائده في ضروب الشعر.

المحور الأول: نشأة حسان بن ثابت:

عاش حسان بن ثابت مائة وعشرين سنة ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، وهو من بني النجار من الخزرج، وقد كان الخزرج ولخوتهم الأوس يقطنون يثرب (المدينة) ولقبوا بعد أن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالأنصار. (حسان، 1347-1929م، ص-ف) ولما بلغ الستين من عمره، هاجر إلى المدينة فدخل في الإسلام وأصبح يرد هجمات القرشيين اللسانية ويدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام ويهجو خصومهما. ولم يكن حسان بن ثابت وحده الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء، بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صح إسلامهم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يثني على شعر حسان وكان يحثه على ذلك ويدعو له بمثل: (اللهم أيده بروح القدس) عطفه عليه، وقربه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا. إلا أن حسان بن ثابت لم يكن يهجو قرشياً بالكفر وعبادة الأوثان وإنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمسالب والأنساب، ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم ملبقاً. كان حسان بن ثابت لا يقوى قلبه على الحرب فاكتفى بالشعر ولم ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم بسيفه ولم يشهد معركة. معه ولا غزوة.

مما لاشك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة، يجله الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء، فإننا لا نجد في خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه موقفاً خاصاً من الشعر ويبدو أن انشغاله بالفتوحات وحركة الردة لم تدع له وقتاً يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم. في حين نجد أن سيدنا عمر رضي الله عنه يحب الشعر خاصة ما لم يكن فيه تكرار للفظ والمعنى.

وقد اتفق الرواة على أن حسان بن ثابت أشعر أهل المدينة في عصره، وأشعر أهل اليمن قاطبة. وقد خلف ديواناً ضخماً رواه ابن حبيب، (حسان، 1347-1929م، ص-ض) وقد كان لشعر حسان أغراض كثيرة فكان أكثر شعره في الهجاء وما تبقى في الافتخار بالأنصار ومدح محمد صلى الله عليه وسلم والغساسنة والنعمان بن المنذر وغيرهم من سادات العرب وأشرفهم. ووصف مجالس اللهو والخمر مع شيء من الغزل، إلا أنه منذ إسلامه التزم بمبادئ الإسلام.

ومن خلال شعر حسان بن ثابت نجد أن الشعر الإسلامي اكتسب رقة في التعبير بعد أن عمر الإيمان قلوب الشعراء، وهي شديدة التأثير بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع وجود الألفاظ اليدوية الصحراوية. ومهما استقلت أبيات حسان بن ثابت بأفكار وموضوعات خاصة فإن كلامه يعبر عن موضوع واحد هو موضوع الدعوة التي أحدثت أكبر تغيير فكري في حياة الناس وأسلوب معاشهم.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحسان يوماً وهو ينشد الشعر في مسجد رسول صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه وقال: (أرغاء كرزاء البعير؟ فقال حسان: دعنا عنك يا عمر فوالله لتعلم أنني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك، فقال عمر: صدقت وانطلق). (حسان، 1347-1929م، ص-س-م)

وقدم المدينة في خلافة الفاروق عبد الله بن الزبير وضرار بن الخطاب وكانا شاعري قريش في الشرك، فنزلا على أبو أحمد بن جحش وقالوا له نحب أن نرسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا، فأرسل إليه فجاءه فقال له يا أبا الوليد هذان أخواك ابن الزبير وضرار قد جاءا يسمعانك وتسمعهما ما قالوا لك وقلت لهما فقال ابن الزبير وضرار نعم يا أبا الوليد، إن شعرك كان يحتمل في الإسلام ولا يحتمل

شعرنا، وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا، فقال حسان: أفتبدآن أم أبدأ؟ قال: نبدأ نحن، قال: ابتدئا فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضباً ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة فدخل حسان على عمر فقص عليه قصتهما وقصته فقال له عمر: لن يذهب عنك بشيء إن شاء الله وأرسل من يردهما وقال له عمر: لو لم تدركما إلا بمكة فاردهما علي. فلما جاء دعا لهما بحسان وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسان: أنشدتهما مما قلت لهما فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف فقال له عمر: أفرغت؟ قال: نعم فقال له: أنشداك في الخلاء وأنشدتهما في الملاء وقال لهما عمر: إن شئتما فأقيما وإن شئتما فانصرفا. وقال لمن حضره: أي قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضامن عنكم وبث القبيح فيما بينكم فأما إذ أبو فاكنتوه واحتفظوا به (حسان، 1347-1929م، ص، ع-م)

المحور الثاني: حياته الشعرية ونماذج من شعره:

أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحنو على الشعراء ومن مأثور قوله صلى الله عليه وسلم: (وإن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة أو لحكما) (حسان، 1347-1929م، ص، ص-م) والحكمة والحكم معناها واحد والمراد أن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما. وقال صلى الله عليه وسلم: (الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها وتسل به الضغائن من بينها) (حسان، 1347-1929م، ص، ص-م) وروى عنه صلى الله عليه وسلم: (إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب) وقال أبو بكر كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، وشاعر لديه ينشده فقلت له أشعر وقرآن؟ فقال: هذا مرة وهذا مرة (وروى عنه: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين).

وقال صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا حسانا، فإنه ينافح عن الله وعن رسوله) وقيل أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلي عبد الله بن رواحه فقال " النبي صلى الله عليه وسلم أهج قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلي كعب بن مالك ثم أرسل إلي حسان بن ثابت فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفريدهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تهجوهم وأنا منهم، وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟ فقال: لأسدك منهم كما تسل الشعرة من العجين. فقال له: أنت أبابكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك، فكان يمضي إلى أبي بكر ليقفه على أنسابهم فكان يقول له كف عن فلانة وفلانة وأذكر فلانة وفلانة، فلما سمعت قريش شعر حسان قالت: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة. (حسان، ص ل - م).

قد غلبت على أساليب حسان الشعرية الصبغة الإسلامية كتوليد المعاني من عقائد الدين الجديد وأحداثه والاستعانة بصيغ القرآن وتشبيهاته ولطيف كنياته، وضرب أمثاله، واقتباس الألفاظ الإسلامية من الكتاب والسنة وشعائر الدين، كما غلبت عليها الرقة واللين والدماثة واللفظ وسهولة المأخذ وواقعية الصورة وقرب الخيال، وأكثر ما نرى ذلك في شعر الدعوة إلى توحيد الله وتنزيهه، وتهجين عبادة الأوثان، ووصف الشعائر الإسلامية وذكر مآثرها وبيان ثواب المؤمنين وعقاب المشركين وبعض ما مدح به الرسول أصحابه أو رثاهم به". (الجمحي، 2016، ص4).

قال أبو عبيدة: (فضّل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام (حسان، 1347-1929م، ص7).

وروى صاحب جمهرة أشعار العرب بسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قوماً نالوا أبا بكر بألسنتهم ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم التفت إلى حسان فقال: هات ما قلت فيّ وفي أبي بكر فقال حسان قلت يا رسول الله:

إِذَا تَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ذَقَبَةً فَذَكُرْ لَكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
الذَّالِي الذَّالِي الْمَحُودُ شَيْءٌ مَتَهُ وَأَوَّلُ النَّاسِ طُرًّا صَقَّ الرُّسُلَا
وَالذَّالِي أَتَدَّ بَيْنَ فِي الْغَارِ الْمَذِيفِ وَقَدْ طَافَ الْعَوْثُ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَّ لَا
وَكَانَ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَطَّهَا مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَحِلَّ بِهِ رَجُلَا

فقال صلى الله عليه وسلم: صدقت يا حسان، دعوا لي صاحبي. قالها ثلاثاً. (حسان، 1347-1929م، ص، 99، 200، 201)

ويمكن تقسيم شخصية حسان بن ثابت الشعرية إلى أربعة أقسام هي:

1 . حسان شاعر القبيلة: قبل أن يدخل حسان بن ثابت في الإسلام كان منصرفاً إلى الزود عن حياض قومه بالمفاخرة، فكان شعره النضال القبلي تغلب عليه صبغة الفخر. أما الداعي إلى ذلك فالعداء الذي كان ناشباً بين قبيلته والأوس. ولقد كان فخر حسان لنفحة عالية واندفاعاً شديداً.

2 . حسان شاعر التكسب: اتصل حسان بالبلاط الغساني، فمدح كثيراً من أمراء غسان أشهرهم عمرو الرابع بن الحرث وأخوه النعمان ولاسيما جبلة بن الأيهم. وقد قرب الغساسنة الشاعر وأكرموه وأغدقوا عليه العطايا، وجعلوا له مرتباً سنوياً وكان هو يستتر ذلك العطاء بشعره:

يُسْقَوْنَ مِنْ وَرْلِ اللَّبْلِ رِيضَ عَلَيْهِمْ بِرِيٍّ يَصْفُقُ بِالرَّحِيقِ السُّلَّلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةً أَحْلَبَهُمْ شَمُّ الْإِثْمِ فِي الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

وقوله في آل جفنة: (حسان، 1347-1929م، ص، و)

يَغْتَشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقِيلِ

3 . حسان شاعر الإسلام: نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي، والرد على أنصار الجاهلية، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية، فكان الشعر نضال يهجو فيه الأعداء ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الإستجداء، بل للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ينقسم إلى قسمين:

أما المدح الذي نجده في شعر حسان لهذا العهد فهو مقصور على النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه وكبار الصحابة والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاءً حسناً، وهو يختلف عن المدح التكسبي بصنوفه عن التقلب على معاني العطاء والجود، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك مما ينبثق من العاطفة الحقة والعقيدة الدينية قال حسان:

وَأَنْزَرْنَا نَارًا وَيَشْرُجَةً وَعَلَّمْنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ

وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلِكَ مَا عَمِرْتِ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ

ومن مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما وصفته عائشة رضي الله عنها وطابقه مدح حسان قوله:

مَتَى يَبْدُ فِي الدَّاجِي الْبِهِيمِ جَبِينَهُ يَلِجُ مِثْلَ مِصْبَاحِ الدَّجَى الْمَتَوَقِّدِ

فَمَنْ كَانَ أَوْ مِنْ ذَا يَكُونُ كَأَحْمَدِ نِظَامٍ لِحَقِّ أَوْ نِكَالٍ لِمَلْحَدِ

وقال حسان أيضاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم: (حسان، 1347- 1929م، ص، 78)

أَعُوذُ بِعَلِيٍّ لِدُبُورِ خَاتَمِ مِنْ اللَّهِ شَهْرٍ وَدِي لُوحٍ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُهُ النَّبِيَّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَتْ فِي الْحَمْسِ الْهَيَّ أَشْهَدُ
وَتَشَقُّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِئَهُ فَذُنُوبِ الْعَرِيسِ مَحْمُودٍ وَهَذَا مَحْمُودٌ

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بحسان فبني له منبراً في مسجده لينشد فيه الشعر لينافح عنه صلى الله عليه وسلم. ويقول: أن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم إذا أنشده حسان شعره بشرق وجهه ويدعو له ويشجعه ويثني به، وكذلك كان مع كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه. فلقد سردت ذلك لتكلم الحوادث وتنبئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتاح للشعر متى كان في موضعه ولم يشب بزخرف وكذب، ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية، وأنه كان يحب الشعراء ويجيزهم ويحنو عليهم .

وقال قاتل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أهج القوم الذين يهجوننا فقال: إن أذن لي النبي صلى الله عليه وسلم فعلت، فقالوا يا رسول الله : ائذن له، فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن علياً ليس هناك، أو ليس عنده ما يراد في ذلك منه. (حسان، 1347- 1929م، ص، ل- م)

ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسياهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنالها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرنى به مقول بين بصري وصنعاء. قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوه وأنا فيهم؟ وكيف تهجوا أبا سفيان وهو بن عمي؟ فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأَسْلُذَكَ منهم) والله كما تسلم الشعرة من العجين فقال: (أنت أبا بكر فإنه أعلم بأنسب القوم منك) فكان يمضي إلى أبي بكر رضي الله عنه ليقفه على أنسابهم، فكان يقول له: كف عن فلانة وفلانة، وأذكر فلانة وفلانة. فجعل يهجوهم. فلما سمعت قریش شعر حسان قالوا: هذا شعر ما غاب عنه بن أبي قحافة (حسان، 1347- 1929م، ص، م).

وهو في هذه القصيدة يعرض لنا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعة قومه له ونصرتهم لدينه. ويقول أيضاً في دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يدري بهم طمع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياهم نفعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ون أصيبوا فلا خور ولا جزع

ونجد المدح في شعر حسان مقصوراً على النبي صلى الله عليه وسلم والعقيدة الإسلامية قال حسان:

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً ويشر جنة وعلمنا الإسلام فإله نحمد
وأنت إله الخلق ربي وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد

ويقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً: (حسان، 1347- 1929م، ص، م)

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْدِي وَأَجْهَلُ مِنْكَ لَمْ تَدْرِ النَّسَاءُ

خُذْتُمْ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ
كَأَنَّكَ قَدْ خُطِّقْتَ كَمَا تَشَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي
لِعَرَضٍ مُصَدِّ مِنْكُمْ وَقَاءُ

وأما الهجاء النضالي: فقد وجهه إلى القرشيين الذين قاموا في وجه الدين الجديد يحاربونه ويهجون محمد صلى الله عليه وسلم وكان موقف الشاعر تجاههم حرباً لما بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم من نسب. أما أسلوبه في هجائه فقد كان يعتمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة القرشية، ويجعله فيهم طائراً غريباً يلجأ إليها كعبد ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعناً شنيعاً، ثم يسدد سهامه في أخلاق الرجل وعرضه فيمزقها تمزيقاً في إقذاع شديد ويخرج ذلك الرجل والبخل والجبن موطناً للجهل، والفرار عن إنقاذ الأحياء من وهدة الموت في المعارك قال حسان هاجباً الحارث بن عوف بن أبي حارثة الموي: (حسان، 1347-1929م، ص، 9، 10):

يَا حَارِثَ بْنَ يَغْرِبِ بْنِمَةَ جَارِهِ
مِنْكُمْ فَإِنَّ مُصَدًّا لَمْ يَغْرِبِ
إِنْ تَغْرِبُوا فَالْغَرُّ مَذْكُومٌ شِيمَةٌ
وَالْغَرُّ يَنْبُتُ فِي أُصُولِ السَّخْبِ رِ
والله مافي قريش كلها نفر
أكثر شيخاً جباناً فاحشاً عمرا
هذر مشائيم محروم ثوبهم
إذا تروح منهم زدو القمر
لولا النبي (ص) وقول الحق مغضبة
لما تركت لكم أنثى ولا ذكرا

ويقول في مقطوعة يعبر قريشاً فيها بهزيمتها يوم بدر:

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه
حتى الممات ونصر غير محدود
ومن قوله في هجاء أبا سفيان: (حسان، 1347-1929م، ص، 210).

أَلْبَلِغِ أَبَا سُفْيَانَ عَيْبِي
قِيْنُ اللَّؤْمِ مَعْنِدُهُ حِرَاكَا
تَسَامِي عُسْبَةَ مِنْ فَرْعِ فِهْرِ
وَقَدْ أَعْيَتْ سَاعِيهِمْ أَبَاكَ
أَلَسْنَا مَعْتَرًا نَصْرُوا وَأَوْوَا
وَصَهْمٌ مِ الْمَلِيكِ بِفَضْلِ ذَاكَ
هُمْ صَدَقُوا بِدُطْنِ الشَّعْبِ
رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَبْطَالَ مَنَا
رَسُولَ اللَّهِ وَالْأَبْطَالَ مَنَا

ومدح المصطفى صلى الله عليه وسلم: (حسان، 1347-1929م، ص، 1)

عَدَّتْ ذَاتُ الْأَصْبَعِ فَالْحَوَاءُ
إِلَى عَزَاءِ مَنْزِلِهَا خَلَاءُ
يَدِ أَرْمَنِ بْنِ ذِي الْحَسَّاسِ قَفَرٍ
تُعْيِيهَا الرُّؤْمِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَاذَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ
ظَلَّ مَوْجِهُ أَنْعَمَ وَشَاءُ

وقال يهجو الضحاک بن خليفة الأشهب لبي في شأن بني قريظة وكان أبو الضحاک منافقاً وهو جد عبد الحميد بن

أبي جبيرة: (حسان، 1347-1929م، ص، 147)

أَبْلِغِ أَبَا الضَّحَّاكِ أَنَّ عَوْقَهُ
أَعْيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَجَّنَا
أَتُحِبُّ يَهْدَانَ الْحِجَارِ وَيَدِيَهُمْ
كَبَدَ الْحَمَارِ وَلَا تَحِبُّ مَهْنَا
وَلَا نَشَأُ لَكَ نَاشِي نُؤْغِرَةٌ
فَهُ الْفُؤَادِ أَمْرَتَهُ فَتَهْوَنَا

فمن قول حسان في هجاء أبا سفيان بن الحارث: (حسان، 1347-1929م، ص، 46، 48، 49)

وإن سنام المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبنا زهرة منهم
كرام ولم يقرب عجائذك المجد

ولست كعباس ولا كإبن أمه ولكن لثيم لا يقام له زائد

4 . حسان شاعر اللهو: كان حسان بن ثابت متوفراً على شرب الخمر والاستمتاع بالغناء وما يتبعه من لهو وعبث ولاسيما قبل دخوله الإسلام. وله في الخمر أوصاف شهيرة تأتي خصوصاً في مدائحه لمؤك غسان، كما له غزل، وشعره هذا غير مستغل يختلط عادة بالفخر والمدح. وغزله تقليدي في معانيه وصوره.

قيمة شعر حسان بن ثابت:

شعر حسان بن ثابت طبع مندفع، وقريحة هائجة. ومن جوانب قيمة شعره: القيمة الفنية: حسان بن ثابت شاعر شديد التأثير، قوي العاطفة، يفوته التأني، ولهذا ترى شعره يتدفق تدفقاً، متبعاً في ذلك الطبع والظفرة لا الصنعة والتأمل، ومن ثم نجد شعره خالياً من كل ما يتطلب النظر الهادي المتفحص، فطالعه مغتضبة اعتضاباً شديداً يسرع في الانتقال منها إلى موضوعه الذي تحترم به نفسه وانتقاله غير بارع عادة. ثم إن كلامه يخلو من الترتيب والتناسق لما في عاطفته من فوران. وهذا الفوران نفسه يحول دون التنقيح. القيمة التاريخية: لشعر حسان فضلاً عن القيمة الفنية، قيمة تاريخية كبرى، فهو مصدر من مصادر تاريخ تلك الأيام، يسجل مآثر الغساسنة ويصف غزواتهم وممتلكاتهم، ويسجل أحداث الفجر الإسلامي، ويطلعنا على أخبار محمد صلى الله عليه في غاراته وغزواته وفتح مكة، كما يطلعنا على أسماء الصحابة وأعداء الإسلام وهكذا كان حسان بن ثابت شاعراً ومؤرخاً كما كان شعره فاتحة للشعر السياسي الذي ازدهر في عهد بني أمية .

بعض النماذج من شعر حسان بن ثابت:

لاميته التي يمدح بها الغساسنة بمثل قوله: (حسان، 1347-1929م، ص، ث)

لله ترَّ عَصَابَةٌ نَآمَنَهُمْ مَّ يَوْمًا بِجِلَاقٍ فِي الرَّمَانِ الْأَوَّلِ

أولاد جندة حول قبر أبيهم م قبر ابن موية الكريم الفضل

يَسْقُونَ مِنْ بِيْرِ الرَّيْضِ عَلَيْهِمْ بِرَيْ يَصَقُّ بِالرَّحِيقِ السَّلْبِ

بيض الوجوه كريمة أحلبهم م شم الأوف من الطراز الأول

الدالية التي يستهلها بقوله: (حسان، 1347-1929م، ص، 199)

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

الميمية التي يقول فيها:

لعمرك إن آلك من قريش كآل السيق من رأل النعام

الهمزية التي يقول فيها لأبي سفيان بن الحارث: (حسان، 1347-1929م، ص، 8)

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء

أتهجوه ولست له بكفاء فشركما لخيركما الفداء

إن من يتعمق في ديوان حسان بن ثابت يجد أن فحولة شعره لم تقارقه في جاهليته وإسلامه وفي فخامته وعذوبته ولاشك في أن ما يظهر من ضعف ولين في بعض إسلامياته ليس أصيلاً في حقه؛ وإنما هو عارض ساقته ظروف طارئة، أو منحول دست عليه لغرض ديني أو فكاخي. فلقد كان حسان بن ثابت رمزاً من رموز

المدافعين عن حياض الإسلام والمسلمين فسخر هجاءه في ذم أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ولقد مضى مفتخراً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنين وإخوانه الأنصار .

فضل حسان بن ثابت:

وقال في الكامل للمبرد (محمد، أبو العباس، 1417هـ - 1997م، ص، 57) أعرق قوم في الشعراء آل حسان بن ثابت فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

وقد أورد بن سلام في طبقات الفحول أن حسان من شعراء القرى العربية هي: مكة - المدينة - الطائف - اليمامة - البحرين - وأشهرها قرية المدينة وقال: (وأشهرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر وجيده) كما أن حسان بن ثابت مارس النقد على الشعراء، وهذا ما يدل على رسوخ قدمه في فن الشعر وتمكنه فيه وضلوعه في بحوره وتعمقه في ثناياه فقد أورد بن الإسلام قصة مفادها أن حسان بن ثابت سئل: من أشعر الناس؟ فقال: رجلاً أم امرأة؟ قيل: رجلاً قال: ميتاً أم حياً؟ قيل بل حياً قال: أشعر الناس حياً هذيل، وأشعر هذيل أبو ذؤيب. (ابن خلدون، 1337م، ص47).

حدثنا الحجاج بن منهال أخبرنا شعبة قال أخبرني عدي أنه سمع البراء رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك وزاد إبراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت اهج المشركين فإن جبريل معك (العتقاني، 1407هـ - 1986م، مسألة رقم 3897 الحاشية 1).

عن سعيد بن المسيب، قال: مرَّ عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك بالله، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أجب عني، اللهم أيده بروح القدس؟" قال: نعم (صحيح البخاري 112/4، صحيح مسلم 1932/4، رقم 2485) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: (أهجهم وهاجهم وجبريل معك)

قال حسان: (حسان، 1347- 1929م، ص، 1، 2، 3، 4، 5)

| | |
|------------------------|-------------------------|
| هجوت محمداً فأجبت عنه | وعند الله في ذلك الجداء |
| هجوت محمداً براً تقياً | رسول الله شيمته الوفاء |
| فإن أبي ووالده وعرضي | لعرض محمد منكم فداء |
| تكلت بنيتي إن لم تروها | تثير النقع من كنف كداء |

فقد زرف الشاعر دموعاً حارة، وضمنه لوعة وتذكراً لأفضال الرسول صلى الله عليه وسلم ويلحق بهذا المدح رثاء محمد صلى الله عليه وسلم:

مع المصطفى أرجو بذالك جواره وفي نبل ذلك اليوم أسعى واجهد

ويلحق بهذا المدح رثاء محمد صلى الله عليه وسلم فقد ضمنه الشاعر لوعة وزرف دموعاً حارة وتذكراً لأفضال رسول الدين الجديد وحنيناً للقائد في النعيم قائلاً:

مع المصطفى أرجو بذالك جواره وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد .

وأيضاً مراثيه البديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها أبو يزيد الأنصاري فيقول: (حسان، 1347-

1929م، ص، 18)

ما بال عيني لا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا
جَنَّبِي يَدَيْكَ الذَّرْبَ لَهْفِي لَيْدِي نِي
أَقِيمُ بِعَهْكَ بِالْمَدِينَةِ بِدِيهِمْ
بِأَبِي وَأُمِّي مِنْ شَهَدَتْ وَفَاتِهِ
فَظَلَلْتُ بِعَدِّ وَفَاتِهِ مَدَّ لَدَدًا
أَوْ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ فِينَا عَاجِلًا
فَدَتِ قَوْمٌ سَاعَةً نَا فَذَلَقِي طَبِيًّا
يَا بَكَرَ أَمْدَةَ الْمُبَارَكِ نَكَرَهُ
نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَدَبِّبْنَا
فِي جَنَّةِ الْفَوْوسِ وَكَلِّبْنَا لَنَا

وأيضاً بكأوه على فراق الرسول صلى الله عليه وسلم: (حسان، 1347-1929م، ص، 89).

بَطِيْبَةٌ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعَهُ دُ
وَلَا تَنْحِي الْآيَاتِ مِنْ دَارِ حَرَمِيَّةِ
مُنِيرٌ وَقَدْ تَعَفَّرَ الْأُسُومُ وَتَهَمَّدُ
وَوَاضِحٌ آيَاتٍ وَدِاقِي مَطْلَمِ
بِهَآ مَنبَرِ الرَّهْبَانِي الَّذِي كَانَ يَعْجُدُ
بِهَآ حَجَرَاتٍ كَلِي نَزَلَ وَسَطَهَا
وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ صَلَّيْ وَمَسْجِدُ
مِنْ اللَّهِ نُوْرٌ يَسْتَضَاءُ وَيُعَدُّ

ورثاؤه أيضاً لعمر بن الخطاب حين توفي على أثر طعنة فيروز أبولؤلؤة المجوسي:

وفجعنا فيروز لا در دره

توفي حسان بن ثابت في المدينة المنورة سنة 54هـ 674/673م في عهد معاوية بن أبي سفيان عن عمر قد ناهز المائة والعشرين عاماً.

خاتمة:

الحمد لله الذي أعانني على إكمال هذه الدراسة المختصرة، عن حياة حسان بن ثابت، وقد خرج البحث بعد إكمال مادته بنتائج عدة منها:

حياة حسان بن ثابت ذخيرة بالقيم الفنية.

إن حسان هو أشعر أهل المدر والحضر في زمانه.

أن حسان شاعر شديد التأثر، قوي العاطفة.

أن شعر حسان ينبثق من العاطفة الحقة والعقيدة النفسية.

نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي، والرد على أنصار الجاهلية.

توصيات:

1. دراسة وتحليل شعر حسان بن ثابت والتعمق فيه لأنه إضافة حقيقية للأدب الإسلامي.
2. شخصية حسان بن ثابت ذات أصالة وتاريخ لارتباط شعره بالتراث والقيم الإسلامية.

3. مواصلة الدراسة في شعر حسان لأنه يتمتع بصفات عدة منها: (أنه شاعر القبيلة وشاعر التكسب وشاعر الإسلام وشاعر اللهو).
4. معرفة القيم التفضيلية لشخصية حسان بن ثابت قبل وبعد الإسلام إذ أنه فضّل على سائر الشعراء بثلاث: (شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام).
5. شعر حسان بن ثابت ذات طابع مندفع وقريحة هائجة، وله قيم فنية وتاريخية.

المصادر والمراجع:

1. شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر، 1347هـ - 1929م.
2. الكامل في اللغة والدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1997م، دار الفكر العربي، القاهرة.
3. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة.
4. مقدمة ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة.
5. الحياة الروحية في الإسلام، محمد مصطفى حلمي.
6. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقية.
7. كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، الطبعة الثالثة، 1412هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. الخصائص الفنية في شعر حسان بن ثابت، الطيب عبد الرازق النقر، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.
9. صحيح البخاري، 112/4، صحيح مسلم، 1932/4، رقم 2485.
10. فتح الباري ، شرح صحيح البخاري، أحمد علي بن جعفر العثقلاني، دار الريان، 1407هـ - 1986م، مسألة رقم 3897، الحاشية 1.
11. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام ، موقع الوراق، مارس 2003م.